ومات المترجم له في يوم السبت لثلاثٍ بقين من صفر سنة ١٠٨٥ خمس وثمانين وألف. وهو إمامي، المذهب غفر اللَّه له.

٥٩

(أحمدُ بن مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عبد الرَّحيم بن يُوسُف بن سَمير بن حَازم، أبو حازم المصريّ)

التَّيْمي، ويُعرف بابن البُرهان. ولد فيما بين القاهرة ومصر في ربيع الأول سنة ٧٥٤ أربعٍ وخمسين وسبعمائة، واشتغل بالفقه شافعياً. وسمع الحديث وأحبه. ثم صحب بعض الظاهرية فجذبه إلى النظر في كلام ابن حَزْم فأحبَّه، ثم نظر في كلام ابن تيمية فغلب عليه بحيث صار لا يعتقد أن أحداً أعلم منه. وكانت له نفس أبية ومروءة وعصبية ونظر في أخبار الناس، فطمحت نفسه إلى المشاركة في الملك مع أنه ليس له فيه قدم، ولا له سلف في ذلك، ولا معه مال. فلما غلب (الظاهر برقوق) على المملكة وحبس الخليفة، رام جعل ذلك وسيلة لما حدثته به نفسه، فغضب من ذلك وخرج في سنة (٧٨٥) إلى الشام، ثم إلى العراق يدعو إلى طلب رجلٍ من قريش، فاستقرى جميع الممالك، ودخل حلب، فلم يبلغ قصداً. ثم رجع إلى الشام فاستغوى كثيراً من أهلها. وكان من أكبر الموافقين له ممن يتدين منهم الياسوفي والحسباني، لما ظهر من فساد الأحوال وكثرة المعاصي وفشوّ الرشوة في الأحكام وغير ذلك، فلم يزل على هذه الطريقة إلى أن نمى أمره إلى (بيدمر) نائب الشام، فسمع كلامه وأصغى إليه، ولم يشوش عليه لعلمه أنه لا يجيء من يديه شيء. ثم نمى أمره إلى نائب القلعة شهاب الدين الحمصي، وكانت بينه وبين بيدمر عداوة شديدة، فوجد فرصة في التأليب عليه بذلك. فاستحضر ابن البرهان واستخبره، وأظهر أنه مال إلى مقالته، فبثَّ إليه جميع ما كان يدعو إليه، فتركه. ثم كاتب السلطان بذلك كلّه. فلما علم به كتب إلى النائب يأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وبتشهيرهم. فتورّع النائب عن ذلك، وتكاسل عنه، وأجاب بالشفاعة فيهم والعفو عنهم، وأن أمرهم مُتلاشٍ وإنما هم قوم خفَّت أدمغتهم من الدرس. واستمر ابن الحمصي في انتهاز الفرصة، فكاتب أيضاً بأنّ النائب قد عزم على المخامرة، فوصل إليه الجواب بمسك ابن البرهان ومن كان على رأيه، وإن آل الأمر في ذلك إلى قتل (بيدمر) فمات الياسوفي خوفاً بعد أن قبض عليه، وفرّ الحسباني. ولما حضر البرهان إلى السلطان استدناه واستفهمه عن سبب قيامه عليه، فأعلمه أن غرضه أن يقوم رجل من قريش يحكم بالعدل، فإن هذا هو الدين الذي لا يجوز غيره، وزاد في نحو هذا، فسأله عمَّن معه

على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم. فأمر بضربه فَضُرب هو وأصحابه، وحُبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم، وذلك في ذي الحجة سنة (٧٨٨). ثم أُفرج عنهم في ربيع الأول سنة (٧٩١)، فاستمرّ ابن البرهان مقيماً بالقاهرة على صورة إملاقٍ إلى أن (مات) لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة، وحيداً فريداً بحيث لم يحضر فيّ جنازته إلَّا سبعة أنفس لا غير. وكان ذا مروءة علية ونفس أبية، حسن المذاكرة والمحاضرة، عارفاً بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور، يكثر الانتصار لها، ويستحضر أدلتها. وأملى وهو في الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود، ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، ورسالة في الإمامة. وذلك يدلّ على وفور اطلاعه، (قال ابن حَجَر): وقد جالسته كثيراً، وسمعت من فوائده كثيراً. وكان كثير الإنذار بما حدث بعده من الفتن والشرور، لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس، ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص الفلوس بالقاهرة، بحيث أنه رأى عندي قديماً مرة منها جانباً كثيراً فقال لي: احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال، فكان كذلك؛ لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالاً فأكثر. وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل، ثم صار تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك. ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كلّ رطلٍ إلى اثني عشر، ثم إلى أربعة وعشرين. ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالاً يُقتنى لوجود الخلل في قيمتها، وعدم ثباتها على قيمةٍ واحدة. انتهى.

٦٠

(أحمدُ بن مُحمَّد بن أبي بَكْر بن عبد الملك ابن الزَّيْن أحمد بن الجمال مُحمَّد بن الصفيّ مُحمَّد ابن المجد حُسين بن التاج عليْ)

القَسْطَلانيّ الأصل المصريّ الشافعيّ؛ ويُعرف بالقَسْطلانيّ[1]. ولد في ثاني عشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة، بمصر، ونشأ بها فحظ القرآن والشاطبيتين ونصف الطيبة الجزرية والوردية في النحو، وتلا بالسبع على السراج عمر بن قاسِم الأنصاري السَّاوي، وبالثلاث إلى (وقال الذين لا يَرْجُون لِقاءنا) على

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢/ ١٠٣؛ شذرات الذهب: ٨/ ١٢١؛ كشف الظنون: ٦٩، ١٦٦، ٣٦٦، ١٥٥١، ١٩٦٥؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٤٨٤؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٨٥؛ الكواكب السائرة: ١/ ١٢٦؛ الأعلام: ١/ ٢٣٢؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ١٦٥.